# الأسس العامة لبناء المعارف وتوظيفُها

**الأستاذ الدكتور: صالح مفقوده**
**قسم الآداب واللغة العربية**
**كلية الآداب واللغات**
**جامعة محمد خيضر– بسكرة**

أود في البداية أن أثمن عاليا الاختيار الموفق لعنوان هذه الندوة وهو بناء المعارف وتوظيفها، فبناء المعارف هو نظرية متكاملة وهي تختلف عن التعليم بمفهومه التقليدي حيث إن التعليم يعني اكتساب معارف ومهارات، أما بناء المعارف فتعني أكثر من ذلك بناء المعارف تعني توليد لأفكار جديدة بناء على المعارف السابقة واستخدام هذه المعارف بصفة ملموسة وفي إطار الجماعة لحل المشكلات الراهنة وتتميز المعارف الجديدة بالقابلية للتحسين.[1]

بناء المعرفة أو بناء المعارف هو ما يلزم على مجموع المتعلمين إنجازه لخلق المعرفة، فمجموع المتعلمين يرتبطون مع بعضهم بعلاقات هي المعرفة المشتركة والمتبادلة قوة الفريق مهمة جدا للتعاون وللإبداع والتصدي للمشكلات.

وبطبيعة الحال نود ربط هذه القضية أساسا بالبحث العلمي وبإنجاز الطلبة لبحوثهم في الجامعة، فماهي الأسس التي يجب احترامها وكيف يتم بناء المعارف في إطار البحث العلمي؟

**أولا: العمل الجماعي**

لم يعد البحث العلمي عملا واجتهادا فرديا بحتا فهذا لا يؤدي إلى نتيجة، العمل ينبغي أن بكون تابعا ومرتبطا بمجموعة يؤطرها أستاذ والأستاذ نفسه لا يعمل وحده ولذلك فإن البحوث الجامعية منتظمة في مخابر للبحث وهي هيكل تنظيمي يجمع مجموعة من فرق البحث يرأسهم مدير المخبر الذي يقوم بتنظيم البحث في محاور حسب الاختصاص،

وكل فريق يكون مجموعة من الباحثين لقصد قيامهم ببحوث في المحور المحدد، وينتمي المخبر بطبيعة الحال للجامعة[2].

**ثانيا: تحديد أهداف البحث**

ينبغي أن أشير هنا إلى أن عملية الاختيار من الأستاذ أو الطالب ينبغي أن تكون في ضوء أهداف محددة وواضحة، لماذا اختار هذا الموضوع بالذات ماذا يحقق لي من أهداف، البحث العلمي ليس هدفا في حد ذاته هو نشاط يهدف إما لتحقيق ربح مادي أو خدمة للمجتمع على مستوى من المستويات الثقافية الاجتماعية أو الاقتصادية أو الحضارية، بحث لا يقدم شيئا هو نوع من العبث، والوزارة ومديرية البحث والجامعات في أرجاء العالم لا تُمول سوى البحوث التي ينتظر منها شيء معين ينبغي أن يكون لديك أو لأستاذك تصورما من هنا لابد من إشكالية للموضوع، لابد من رسم الأهداف.

**ثالثا: الارتباط بالواقع**

ليست كل البحوث صالحة، البحث ينبغي أن يضرب في عمق الواقع المعيش، ينبغي أن يحل إشكالية أن يقدم خدمة ملموسة واضحة تتعلق بالشخصية الوطنية أو الفرد الإنساني، في مجال الآداب بحوثنا تسمى البحوث الأساسية أي ليست تطبيقية لكن لابد أن ترتبط بالمجتمع، بعض الباحثين وخاصة في أدبنا العربي يقومون بعملية تغريب لأنفسهم ببحوثهم فيختارون مواضيع قديمة بالية ويتناولونها بطريقة تقليدية فيمارسون عملية تغريب ويعيشون بعيدا عن المجتمع وعن خضم الحياة المتلاطمة الأمواج ثم يلعنون الأقدار التي لم تمكنهم من مكانة محترمة. والسؤال ماذا يقدم لك هذا البحث وماذا يقدم لأسرتك ولدولتك ولأمتك وللإنسانية. إذن لابد من اعتماد ما يسمى بالنقد الثقافي، لابد من تناول المواضيع بطريقة فيها جدة وطرافة وتضرب بالعمق في المجتمع والانسان، وليس الذهاب إلى غياهب العصور والعيش بين الأنقاض.

**رابعا: العمق والدقة**

نقطة أخرى هي أن يكون البحث محددا في جزئية صغيرة دقيقة واضحة، مسألة أنك تتناول قضية وتدرسها منذ القديم حتى العصر الحاضر هي مسألة غير مجدية، يؤكد الدكتور شوقي ضيف على الحرص على الدقة في اختيار الموضوع فلا نعمد للتصدي لدراسة زمن كامل أو قطر كامل فكلما ضاق الموضوع كلما كان الأمر أحسن يقول:

« ينبغي أن يعدل الباحث الناشئ عن بحث العصور من جميع أقطارها وأطرافها وأن يقتصر على بحث بعض أعلامها أو بعض جوانب منها محدودة ضيقة، وكلما كان الموضوع أكثر ضيقا كان أكثر صلاحية للبحث والدراسة[3]»

**خامسا: الانطلاق من المعارف السابقة**

في كل قضية المطلوب منك أن تطلع على ما قاله الناس ثم تقدم ما لديك ولسنا بحاجة أن تستعرض لنا تاريخ العلوم والمعارف واختلاف الأمم والشعوب، ولسنا بحاجة أن تملأ لنا مئات الصفحات نحن بحاجة إلى طرح علمي فيه جدة للموضوع، فيه فائدة فيه تقدم للبشرية فيه صلاح للأمم وليس نسخا للكتب وليس تكرارا للأقوال ليس اجترار عقيما للمعارف المستهلكة الميتة.

لنعتبر أنك أيها الباحث الناشئ قد فتح الله عليك وضفرت بموضوع جيد، فكيف توظف معارفك فيه وكيف تتصرف أمام ركام من الكتب، ما يفعله الباحثون عندنا أنهم يكتبون ويكتبون ثم يكتبون، ينقلون من الكتب، من كل كتاب يأخذون بعض الفقرات وفي النهاية يثبتون مائة وخمسين مرجعا في بحث بثلاثمائة صفحة كلها نقل تعيس وبئيس وتلفيق للأقوال ولا نجد للطالب من متاع سوى حروف العطف ويقول فلان، ولوكان يبحث حقيقة ويكتب فعلا فهل ينجز في موضوع محدد ثلاثمائة صفحة الجواب كلا، فما هي إلا معارف سطحية هامشية ونقل من الآخرين وهذا ليس بحثا علميا، إن هؤلاء حالهم كالحطاب بليل يأتي على الأخضر واليابس ظانا أنه يفعل خيرا.

لا ينبعي أن يطول البحث بل نذكر الضروري الجديد في الموضوع المفيد، أنت حر أن تقرأ كثيرا بل ذلك واجب، وأنت حر أن تحتفظ بملخصات ووثائق في بينك أو مكتبتك ولكن لا تكتب كل ما هب ودب.

والبحث في انطلاقه أصلا ينبغي أن يبدأ مما انتهى الناس إليه لنبدأ بحث نقطة محددة ولنرى اراء الناس واتجاهاتهم في قضية ما ونقف موقف المتمعن المحلل لا نستعرض النصوص النقدية استعراضا ينبغي الوقوف عندها فهما أولا ثم تحليلا ثم تعليقا أو نقدا ليجد الباحث لنفسه مكانا بين البشر بين الباحثين عل الله يفتح له ببعض الابتكار.

عندما يحترم الباحث نفسه لا يكتب الكثير أنت تكتب خمسمائة صفحة، عندما أطلب منك كتابة صفحة أجدها ملأى بالأخطاء فمن أين لك ال500 صفحة إذن اكتب شيئا دقيقا علميا أصيلا.

**سادسا: استخدام اللغة الأجنبية**

يقتضي البحث العالمي العلمي أن يستفيد من اللغة الأجنبية وتحديدا اللغة الأنجليزية، وليس مبررا على الأطلاق عدم اتقان اللغة كما ليس مبررا عدم اتقان المعلوماتية، فالبحوث العالمية صارت بهذه اللغة وكل منكم له لغته الأم لتكن ما يريد وله تخصصه وله لغة البحث العالمي إذا أراد أن يكون له اسم محترم بين الأمم والشعوب.

**الهوامش:**

1- وضع نظرية بناء المعرفة وطورها كل من كارل بريتر ومارلين سكارداماليا لوصف ما يلزم على مجتمع المتعلمين إنجازه لخلق المعرفة، وتتناول النظرية ضرورة تعليم الأشخاص من أجل إعدادهم لمجتمع عصر المعرفة الذي تتغلل فيه المعرفة والإبداع .

الدكتورة مارلين سكارداماليا Marlene Scardamalia هي أستاذة بقسم المناهج والتدريس والتعلم في OISE / UT. وهي تحمل كرسي الرئيس في مجال التعليم وتقنيات المعرفة وتدير معهد الإبداع المعرفي والتكنولوجيا (IKIT). تركز اهتماماتها البحثية على العمليات المعرفية؛ التعلم المتعمد وتصميم بيئات تعلم مدعومة بالكمبيوتر.

2- عطا الله أحمد وآخرون:( واقع البحث العلمي في الجزائر) المجلة العلمية لعلوم وتقنيات الأنشطة البدنية والرياضية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ص 24.

3- شوقي ضيف: البحث الأدبي، طبيعته- مناهجه- أصوله- مصادره، دار المعارف الطبعة السادسة، ص 19.